ISLĀMIYYĀT 35(2) 2013: 113 - 118

منهج الشيخ سعيد حوى في تفسير آيات العقيدة

The Approach of Sheikh Sa`id Hawwa in the Interpretation of Quranic Verses of Faith

Haziyah Hussin
Mazlan Ibrahim
Sohirin M.Solihin

ملخص

لكل مفسر قديما وحديثا طابع خاص في تفسيره لآيات العقيدة في القرآن الكريم، فمنهم من يكتفي فيها بتفسير القرآن بالمأثور، ومنهم من يزيد على ذلك بما وقف عليه من أدلة عقلية وبحوث كلامية وفلسفية، ولا شك هذا الطابع يتساير مع مذهب المفسر العقدي والكلامي. وأما المفسرون في العصر الحديث قدموا شيئا جديدا في الباب، وبخاصة أبناء الحركات الإسلامية، إذ ينظرون إلى قضية العقيدة بنظرتهم الخاصة، ومن هؤلاء الشيخ سعيد حوى (ت1985م). فهذه الورقة تهدف إلى التعرف على منهجه في تفسير آيات العقيدة. إن المناهج التي سنتبعها في هذا البحث هي المنهج الاستقرائي لتتبع تفسير سعيد حوى لآيات العقيدة والعمل على استنتاج منهجه فيه؛ والمنهج الوصفي التحليلي للتعبير عن العلاقات القائمة بين الظواهر المختلفة، واتجاه الشيخ العقدي في التفسير. قد توصلت الدراسة إلى أن أهم الموضوعات المركزة عليها عند الشيخ هو قضية الربوبية والألوهية، ومفهوم الإسلام. ومن أبرز المناهج التي اتبعها الشيخ في تفسيره لآيات العقيدة وقضاياها هي تركيزه علي آيات العقيدة باعتبارها الموضوع الأساسي للقرآن، وأخذه قضية العقيدة من القرآن مباشرة، واعتماده على مذهب أئمة السلف في آيات المتشابهات، واهتمامه بآثار العقيدة ودورها في الحياة، وبيان الحكمة من الربط بين الإيمان بالله والرسول وبين التشريعات. وأما المؤثرات في تكوين هذا المنهج العقدي هي انتمائه إلى جماعة الإخوان المسلمين وتربيته على منهجها، بالإضافة إلى استفادته من كتاب سيد قطب (في ظلال القرآن).

الكلمات المفتاحية: آثار العقيدة، الحركة الإسلامية، سعيد حوى، عقيدة السلف، القضايا العقدية

ABSTRACT

Every interpreter or commentator of the Quran applies a different manhaj when interpreting Quranic verses pertaining to aqidah (faith). Some interpreters rely on the manhaj of tafsir bi al-ma'thur, while others go beyond this approach and turn instead to rational evidences, theology and philosophy. In other words, an interpreter's approach in tafsir is a reflection of his trend of thought and faith. Nevertheless, Quranic interpreters in these modern times, including those coming from Islamic movements, present a different approach in this matter. Among the renowned personalities that represent these Islamic movements is Sa'id Hawwa who was also an interpreter (D.1985). The present study aims to identify the manhaj applied or practiced by this prominent figure in his interpretation and analysis of issues in Quranic verses that are related to faith. This study uses content analysis to analyze Sa'id Hawwa's interpretation of the Quran in his book al-Asas fi al-Tafsir. His interpretation of issues of the Quran that are related to faith are compiled, then analyzed descriptively based on themes. Findings from the study showed that the main issues of interest to Sa'id Hawwa are about Rububiyyah (Unity/Oneness of Allah's Lordship), Uluhiyyah (Oneness of Worship) and concepts of Islam. Meanwhile issues that are central to his manhaj in his tafsir are those that are related to faith as the central theme of the Quran, the Quran as the primary source of reference about issues pertaining to faith, interpretation of Mutashabihat (unclear and ambiguous) verses based on the madhhab of the Salaf, the role of faith in life, and the interrelationship between legislation and faith. The present study also found that the formation of this manhaj was influenced by the involvement of this figure in the Muslim Brotherhood movement and the use of the famous tafsir book Fi Zilal al-Qur'an as a source of reference for it.

Keywords: The role of faith in life; Islamic movements; Sa'id Hawwa; issues related to faith

مقدمة

إن العقيدة هي لب الإسلام وجوهره، فلا عبادة تصح بلا عقيدة، ولا أخلاق تزكو من غيرها، وهي سر سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولذا كان أول ما يدعو إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام أقوامهم هو العقيدة، وقد كانت العقيدة هي الدروس الأولى التي نزل بها القرآن المكي قبل الهجرة، والتي ظل يرتكز عليها القرآن المدني بعد الهجرة، ثم تأتي العبادات والأخلاق والسلوك تطبيقا عمليا للعقيدة السليمة. وهذه كلها إشارة إلى أهمية العقيدة في التصورات الإسلامية.

كان المفسرون عند تفسيرهم لآيات القرآن الكريم ومعالجتهم قضاياها يسلكون منهجا خاصا، فمنهم من يكتفي فيها بتفسير القرآن بالمأثور، ومنهم من يزيد على ذلك بما وقف عليه من أدلة عقلية وبحوث كلامية وفلسفية، ومن ثم يملأ التفسير بمصطلحات فلسفية معقدة وكلمات فنية جامدة، تتعب العقل وتتشعب بالفكر في الفروض والقضايا والبحوث والمقدمات والنتائج لا نهاية لها. وبعد مسيرة طويلة نادى العلماء في العصر الحديث العودة إلى مصدر العقيدة الأصيل الصافي، وهو القرآن الكريم، كما دعوا إلى دراستها من طريقة القرآن نفسه، فلذلك جددوا طريقتهم ومنهجهم في التفسير، وجعل تفسيرهم

Bab 13outline.indd 113 7/24/2013 9:44:39 AM

لآيات العقيدة في القرآن الكريم مرتكزا على الأمر، ميسرا للجميع فهمه، ومن هؤلاء رجال الحركة الإسلامية وأبنائها. وكان منهم الشيخ سعيد حوى (ت 1985م)، وهو من قادة الإخوان المسلمين بسوريا، وله كتاب في التفسير سماه (الأساس في التفسير)، وقد جعل الشيخ قضية العقيدة وتوضيحها من أهدافه من التفسير، كما حاول في بعض كتبه الأخرى إرجاع الأمر إلى نصابه في هذا الموضوع. فهذه الورقة تهدف إلى معرفة أهم موضوعات العقيدة التي ركز عليها الشيخ في التفسير، والتعرف على طريقته ومنهجه في تفسير آيات العقيدة، ومعرفة موقفه من قضاياها، وعوامل أثرت في تكوين هذا المنهج التفسيري.

نبذة عن حياة الشيخ سعيد حوى وكتابه (الأساس في التفسير)

هو سعيد بن محمد ديب بن محمود حوى النعيمي، ولد في 28 من جمادى الآخر سنة 1354هـ الموافق 27 من سبتمبر 1935م في أسرة فقيرة في مدينة حماه وسط سوريا. انضم الشيخ إلى الإخوان المسلمين وهو في الصف الأول بثانوية ابن رشد عام 1952م، وكان انضمامه في الإخوان ترك بالغ الأثر في حياته، حيث اعتبره معلما ضخما ومنقلبا هائلا في حياته، كما بدأت في هذه الفترة من نموه الفكري بدايات نظرية الوحدة القرآنية، وفكرة الجهاد والسلاح، ونواة الفكر السياسي والحركي. فضلا عن ذلك، كان الشيخ يستغرق في التصوف وينتسب إلى الطريقة الشاذلية (سعيد حوى 1987: 25-27؛ معاذ 2010؛ نور عزم الدين 2004: 105-107). وبالجملة ،كانت الحياة في هذه الفترة حافلة بأنشطة كثيرة شارك فيها الشيخ، من متابعة الدراسة إلى العمل في مجال الدعوة، إضافة إلى حضور مجالس العلماء وملازمتهم، إلى جانب العمل في التجارة والزراعة.

التحق الشيخ بجامعة دمشق سنة 1956م، وكان ذلك بعد تأسيسها وافتتاحها بعام واحد، ودخل كلية الشريعة بها، كما تم حفظه القرآن الكريم في السنة نفسها التي التحق بالجامعة. وتتلمذ على عدد من أهم أستاذة الشريعة وكبار العلماء، منهم الدكتور مصطفى السباعي، والفقيه مصطفى الزرقا، والدكتور فوزي فيض الله، والأستاذ محمد المبارك، والدكتور معروف الدواليبي وغيرهم. واتجه أيضا إلى تلمذة خارج الجامعة على عدد من العلماء والمتصوفين في دمشق، يأخذهم العلم والذكر والأوراد، ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ الشيخ محمد الهاشمي، والشيخ إبراهيم الغلاييني، والشيخ عبد الوهاب الحافظ، والشيخ أحمد الحارون، والشيخ يحيى الصباغ، والشيخ بهجة البيطار، وملا رمضان البوطي. بعد التخرج من الجامعة، اشتغل بتدريس المادة التربية الإسلامية في مدارس في سوريا لمدة سنتين، ثم التحق بالخدمة العسكرية الإلزامية عام 1963م وقضى فيها سنة وأربعة أشهر (سعيد حوى 1987: 44-54). ثم هاجر إلى السعودية سنة 1966م للتدريس، وظل بها خمس سنوات. وعاد بعدها إلى سوريا عام 1971م، حيث اشتغل بالتدريس عام 1972م حتى اعتقل بسبب أحداث الدستور (سعيد حوى 1987: 99). واشتغل هذه الفترة التي قضاها في السجن، وألف فيها عددًا من الكتب، أهمها (الأساس في التفسير)، و(من أجل خطوة إلى الأمام)، و(جولات الفقهين الكبير والأكبر)، و(تربيتنا الروحية)، و(القواعد في البناء)، و(رسالة برسم التنفيذ)، و(رسالة النظرية الأمنية)، إلا أن بعضها ضاع، وبعضها حول الشيخ إلى كتب أخرى أو أدخله فيها (سعيد حوى 1987: 119-125). وبعد ذلك هاجر الشيخ إلى عمان بالأردن في 30 مارس 1978م، وظل بها حتى لقى الله عز وجل.

قد شارك الشيخ سعيد حوى في قيادة الإخوان المسلمين السورية من سنة 1979 إلى 1982م، وحضر لقاءات للتنظيم العالمي في أوربا كأحد الممثلين لسوريا، وأسهم في وضع إطار موضع التنفيذ للحركة الإسلامية لمدة خمس سنوات. ودخل العزلة الاضطرارية بتاريخ 14 مارس 1987م/24 رجب 1408هـ بسبب إصابته بشلل جزئي إضافة لأمراض الأخرى، فاعتزل كل شيء من العمل الخارجي، واستقال من القيادة التنظيمية، ولكنه ما انقطع عن العمل العلمي التأليفي، ثم دخل في الغيبوبة من تاريخ 14 ديسمبر 1988م إلى 9 مارس 1989م، وبعد معاناة طويلة مع المرض توفي الشيخ في المستشفى الإسلامي بعمان في يوم الخميس أول شعبان 1409هـ الموافق 9 مارس 1989م، عن خمسة وخمسين عاما من عمره المبارك، ودفن في مقبرة سحاب جنوب عمان بالأردن (يوسف 2002: 208).

إن (الأساس في التفسير) جزء من سلسلة الأساس في المنهج الثلاثة، وهي (الأساس في التفسير) و(الأساس في السنة وفقهها) و(الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص)، وقع هذا التفسير في أحد عشر مجلدا ضخما، وبأرقام متسلسلة للصفحات بلغت 6799 صفحة، وصدر لأول مرة سنة 1985م لدار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بمصر. وسبب تسمية هذا التفسير بالأساس يرجع إلى أن الشيخ يستهدف منه أن يكون أساسا متينا في الفهم الدقيق لكتاب الله تعالى والاهتداء به، حتى يكون ثمرة ذلك الفهم الإيمان العميق بالله والالتزام بما أوجب بعد ذلك (سعيد حوى 2003، ج1: 7-8)، فلهذا ابتعد عن ذكر التفاصيل لقضايا خلافية، وعن الحشو، وعن كل ما لا يهم القارئ غير المختص، بل قدم للقارئ ما له صلة مباشرة بفهم القرآن وتفهيمه، وما يقتضي احتياجات العصر.

كان الشيخ يعتمد على تفسير ابن كثير وتفسير النسفي، إذ لم يتوفر له في السجن إلا هذان التفسيران، ومن خلالهما وضع الأساس الذي بني عليه هذا التفسير. ولقد حاول في هذه المرحلة من العمل أن يضمّن تفسيره خلاصة التفسيرين ومجمل الفوائد الموجودة فيهما تاركا ما لا يتفق وأهداف هذا التفسير، من الأسانيد والروايات المتعددة والأقوال الكثيرة في الموضوع الواحد، ويغطي المعنى الحرفي لآيات القرآن، وأحيانا المعاني الإجمالية. فكانت هذه القضايا ميزة لتفسيره –لظروف وقتذاك- رغم أنها لم تكن مستهدفة في الأصل (سعيد حوى 2003، ج1: 11). ثم يضيف إليه فوائد من تفاسير أخرى كتفسير الألوسي والظلال وتفسير القرطبي، وكما زاد فيه مما يحتاج إليه من قضايا العصر (محمد 2010). ويصدر هذا التفسير لأول مرة سنة 1405هـ/1985م لدار السلام للطباعة والنشر.

ومن أهم خصائص هذا التفسير مراعاة صاحبه جميع طبقات القارئين ودرجاتهم في العلم والفهم، إذ يتجلى ذلك في طريقته التفسيرية، وعدم توسع الكلام في مباحث لا صلة لها بصلب التفسير، فلا يتعرض للفقه إلا قليلا مع تجريد نفسه من الميل إلى مذهب بعينه، ولا يذكر المسائل اللغوية إلا ما له علاقة بفهم معنى الآية، ولا يذكر الروايات الإسرائيليات إلا مع التعقيب بالنقد، ولا يعالج التفسير العلمي إلا محاولة تقريب بعض الآيات على العلوم والمكتشفات الحديثة. وإنه جدير بالذكر أيضا أن الشيخ لم يكن يفسر القرآن الكريم منعزلا عن المجتمع، ولم يكن يقصد من تفسيره مجرد الثقافة العقلية النظرية أو الانضمام إلى صفوف المفسرين أو الإضافة إلى المكتبة القرآنية، وإنما تفاعل مع الإسلام ودعوته، وخاض بالقرآن وتفسيره بتجربة عملية حركية دعوية حية، وقصد منه إلى بناء الشخصية القرآنية، وتبصير المسلم بواقعه على أساس القرآن، وإلى إبراز مهمة القرآن على أنه كتاب علم ودعوة وتربية وجهاد، فأصبح هذا التفسير من فروض العصر وحاجاته.

أهم موضوعات العقيدة في (الأساس)

كان الشيخ سعيد حوى يعتني بالعقيدة حيث أنه جعل من أهدافه من (الأساس) توضيح هذا الأمر وبيان حقيقة العقيدة وطبيعتها، ووظيفتها

في الحياة، فيعتبر أن ملاحظة قضية الإيمان من واجبات العصر، ومقتضيات التفسير المعاصر (سعيد حوى 2003، ج1: 13). إن العقيدة أمر كبير عند الله، وهي المنهج الذي يغير أسلوب الحياة البشرية بجملتها (سعيد حوى 2003، ج4: 2012)، ولذلك وضع الشيخ هذا الهدف نصب عينيه، فحرص على توضيحه في كل مناسبة، وفي مواطن عديدة من (الأساس)، وعرض الحديث المسهب عن العقيدة وقضاياها ومباحثها، وإيحاءاتها وتقريراتها وحقائقها، ما لم يترك مجالا للشك في العقيدة وتصوراتها. ولكنه لم يتوسع الكلام في قضية من قضايا عقدية، وإنما يحيل إلى كتبه في سلسلة الأصول الثلاثة (الله جل جلاله) و(الرسول) و(الإسلام) لغرض معين.

أما أهم موضوعات هذه العقيدة عنده التي ركز على مباحثها في (الأساس) تركيزا خاصا، فهي قضية وجود الله عز وجل وتدليله عن طريق العقل والوحي، وبخاصة قضية الربوبية وتوحيد الأولوهية، وهي أهم قضايا العقيدة على الإطلاق وأعظم حقيقة يثبتها العلم والعقل (سعيد حوى 2004: 6)، ويقول مبينا لتلك الحقيقة:

> ليس هناك أهم في الإسلام من ثلاث قضايا، القضيتان الأولى والثانية: التقوى والعبادة وهما متلازمان. القضية الثالثة: الطاعة. لذلك كانت الأوامر الرئيسية التي وجهها الرسل لأقوامهم هي: ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾، ولذلك كان من أهم الفقه في الدين فقه العبادة والتقوى والطاعة، كيف نعبد الله؟ وبماذا نعبد؟ وما هو مضمون التقوى؟ وكيف نتحقق به؟ ولمن نعطي طاعتنا؟ (سعيد حوى 2003 ج2: 1103).

وأكد الشيخ أيضا على أن قضية الآخرة من قضايا أساسية في العقيدة وفي الحياة (سعيد حوى 2003، ج2: 2043)، لأن قضية الغيب وحقيقته من مقومات العقيدة الإسلامية، ومن قواعد الإيمان الرئيسية، فالقرآن يقرر ويجمع بين الاعتقاد بالغيب المكنون الذي لا يعلم مفاتحه إلا الله، وبين الاعتقاد بالسنن التي لا تتبدل والتي تمكن معرفة الجوانب اللازمة منها لحياة الإنسان في الأرض، والتعامل معها علة قواعد ثابتة (سعيد حوى 2003، ج3: 1655-1658).

كان الشيخ في مباحثه العقيدة يجمع الآيات المتشابهة التي تتحدث عن الموضوع الواحد ويوفق بينها، ويخرج منها كلها بدلالة عامة أو حقيقة موحدة، وهذا الجمع بين النصوص جعله يخرج منه بنتيجة قاطعة وبرأي صائب في الموضوع. ففي توضيحه عن قضية حقيقة الإسلام والإيمان والفرق بينهما مثلا، جمع بين ما ورد في سورة الحجرات، وما ورد في سورة الذاريات، وما ورد في حديث جبريل، فيقول:

> إن الإسلام الكامل هو الإيمان الكامل ولا فرق، لأن الإيمان الكامل يدخل فيه تصديق القلب وتصديق الجوارح بالعمل، والإسلام الكامل يدخل فيه إسلام القلب لله بالإيمان وإسلام الجوارح بالعمل،... فقوله تعالى في سورة الذاريات قد جعل الإيمان هو عين الإسلام، ويعنى بالإسلام عمل الجوارح، وبالإيمان تصديق القلب فيكون الإسلام شيئا والإيمان شيئا آخر كما ورد في حديث جبريل وإن كان بينهما ارتباط في الواقع والحقيقة، ...وآية الحجرات أشارت إلى التمايز بين الإسلام والإيمان، وبينت في الوقت نفسه أن الطريق إلى الإيمان القلبي هو عمل الجوارح (سعيد حوى 2003، ج9: 5437-5438).

منهجه التفسيري لآيات العقيدة

من أبرز المناهج التي اتبعها الشيخ في تفسير آيات العقيدة وتناول قضاياها كما يلي:

1. القرآن مصدر أساسي للعقيدة

كان الشيخ في تفسيره لآيات العقيدة يستمد على القرآن الكريم، وهو في ذلك ينقل عن (الظلال) لإثبات أن آيات العقيدة في القرآن الكريم هي المورد الأول، والمصدر الأساسي للعقيدة الإسلامية السليمة التي تنشئ التصور الإسلامي والعقلية الإسلامية (سعيد حوى 2003، ج3: 1652-1653؛ سيد قطب 2004، ج2: 1119)، وأكد على ضرورة دراسة القرآن لاستيعاب مواضع العقيدة، بل رأى أن محورا أساسيا لسور القرآن كلها قضايا عقدية، وأشار إلى ذلك في قوله:

> وأنت عندما تدرس مجموعات القرآن فإنك تجد أن القرآن يعالج أدق مواضيع العقيدة بأنواع المعالجات التي تستأصل الباطل، وتعمق الحق، وتستأصل جذور الخطأ، وتربي أعماق الفطرة، ولا تبقي – عقليا أو نفسيا أو قلبيا أو روحيا- من الإنسان إلا وتربيه تربية كاملة (سعيد حوى 2003، ج9: 5052-5053).

فأكد ذلك مستمرا في (الأساس)، وعلى سبيل المثال كان يرى أن سورة الأنعام تعمق معاني العقيدة، وسورة الذاريات والطور والنجم تفصل قضية التقوى والمتقين (سعيد حوى 2003، ج3: 1565؛ ج10: 5506).

ويرى الشيخ أن أنفع الطرق في دراسة العقيدة هو طريقة القرآن نفسه لأن القرآن يخاطب فطرة الإنسان أي يخاطبه بما يدرك ويستدل بما يحس، ويضرب الأمثال بما يفقه، وذكر مبينا لتلك الحقيقة نقلا عن سيد قطب:

> وهنا في القرآن يتخذ من أبسط المشاهدات المألوفة للبشر مادة لبناء أضخم عقيدة دينية وأوسع تصور كوني...والمشاهدات التي تدخل في تجارب كل إنسان النسل والزرع والماء والنار والموت...من هذه المشاهدات التي رآها كل إنسان ينشئ القرآن العقيدة، لأنه يخاطب كل إنسان في كل بيئة، وهذه المشاهدات البسيطة الساذجة بذاتها هي أضخم الحقائق الكونية، وأعظم الأسرار الربانية، فهي في بساطتها تخاطب فطرة كل إنسان. (سعيد حوى 2003، ج5: 2468-2473؛ ج8: 4304-4305. سيد قطب 2004، ج3: 1793-1794).

فيتضح أن طريق الوصول إلى معرفة الله وتوحيده النظر إلى الكون نظرا صحيحا، والتفكر في ملكوت السموات والأرض (سعيد حوى 2003، ج2: 2007)، والتعليل بالظواهر البديهية مثل ظاهرة الحياة والإماتة على وجود الله وربوبيته (سعيد حوى 2003، ج1: 605)، فهو المنهج القرآني في معرض الحديث عن قضية العبودية، ذلك أن المشاهد الكونية ناطق للفطرة ومتناسق مع حياة الناس (سعيد حوى 2003، ج5: 2488-2489؛ سيد قطب 2004، ج3: 1805). فإفراد الله منطق الفطرة، والعبادة غير الله هو انحراف عن بساطة الفطرة واستقامتها (سعيد حوى 2003، ج9: 4854). يقتطف الباحثون مقتطفات من تفسير الشيخ لمجموعة من الآيات في سورة الجاثية، قوله تعالى:

وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝

إذ يقول:

> وقد لفتت السورة النظر إلى ظاهرة الحدوث، ثم ثنّت بذكر ظاهرة الحياة، وبينت أن ظاهرة الحدوث تدرك بمجرد الإيمان، إلا أن ظاهرة الحياة تحتاج إلى يقين... ﴿ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ دل على أن من له عقل عرف في اختلاف الليل والنهار، وإنزال المطر وتصريف الرياح آيات تدل على الله ووجوده وأسمائه وصفاته...وقد لاحظنا أن الآية الأخيرة

> ذكرت العقل، والتي قبلها اليقين، والأولى ذكرت الإيمان، ونأخذ من ذلك أن هناك آيات في الكون تدرك بمجرد العقل يعبر بها الإنسان إلى الله، وآيات لا بد إحساس القلب فيها من يقين، وآيات لا بد لإحساس القلب فيها من إيمان... ﴿ تِلْكَ ﴾ الإشارة ترجع إلى نوعي الآيات الكونية والقرآنية بأن واحد (سعيد حوى 2003، ج9: 5217).

ولهذا دعا الشيخ إلى الاستفادة من طريقة القرآن ومنهجه، وأكد على الدعاة إلى الله تعالى أن يفطنوا إلى دقائق في التربية والدعوة تعرضها عليهم نصوص القرآن والسنة، فمثلا قوله تعالى في سورة ق: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ يفيد أن الذي لا يخاف وعيد الله له خطاب آخر، أما الذي يخاف وعيد الله فيكفي أن نذكره بالقرآن، وقوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يدل على أن التذكير لا بد أن ينتفع به المؤمن، وعلى الواحد من المسلمين أن يذكر حيثما وجد فرصة (سعيد حوى 2003، ج1: 333؛ ج10: 5531-5530).

2- اعتماده على عقيدة السلف في آيات الصفات

العقيدة أساس الوحدة، فإن الاختلاف في العقائد مردود (سعيد حوى 2008: 111)، وذكر الشيخ أن كل مناقشات أئمة أهل السنة والجماعة مع بعضهم إنما تدور حول أمور مشتبهات، فإنه لا حرج على المسلم أن يتبع مذهب إمام في هذه القضية، وأما الخلاف الواقع بين أهل السنة والجماعة وبين الفرق الأخرى إنما هو خلاف لا ينبغي أن يكون لكثرة النصوص ووضوحها (سعيد حوى 2003، ج1: 48). ولأجل مراعاة وحدة الأمة العقدية كان الشيخ يؤكد دائما على ضرورة معرفة عقائد أهل السنة والجماعة، والتمسك بالكتاب والسنة فهما صحيحا وعملا مستقيما، لأن عقيدة السلف وحدها التي يمكن أن يجتمع الناس عليها (سعيد حوى 2003، ج2: 709؛ سعيد حوى 2008: 111؛ سعيد حوى 1988: 66-67).

فلما فسر آيات الصفات -وهي من أهم المسائل الكلامية- وقف في الحدود التي فصلت النصوص، وذهب إلى ما ذهب إليه أئمة السلف من عدم صرف آيات الصفات عن ظاهرها، وعدم التأويل مع تنزيه الله تعالى من صفات الحوادث، وإنه ليس كمثله شيء في صفاته وذاته وأفعاله (سعيد حوى 2003، ج1: 235؛ ج5: 2324). وهذه القاعدة تصفي كثيرا من الأمور الخلافية في باب الاعتقاد، بل تكون أساسا لفهم إسلامي عالمي موحد (سعيد حوى 1988: 67). ورأى أن الكلام بتوسع في الموضوع قد يساء فهمه عند بعض قراء التفسير (سعيد حوى 2003، ج11: 6773)، ولكنه لا يمنع أحدا من التأويل ما دام يلتزم بشروط وضوابط، منها أن يكون رسوخا في العلم، وأن يكون الكلام في الحدود التي تحتملها اللغة العربية، وألا يعارض القرآن بعضه بعضا أو ألا تتعارض به النصوص (سعيد حوى 2003، ج6: 2933؛ ج1: 253؛ ج2: 709).

3- رده على العقائد الباطلة

إن من أهداف الشيخ سعيد حوى من هذا التفسير تحديد صفات الفرقة الناجية والفرقة الضالة كي لا يسير الإنسان على مسار فرقة ضالة، وكثيرا ما يجده الباحثون يبين مواصفاتهما في كل مناسبة. ولاحظ الشيخ أن التصورات الخاطئة لطريق معرفة الله قديما وحديثا من أكبر العوامل أبعدت كثيرا من الناس عن طريق الإيمان الصحيح، فقد حدث القرآن الكريم أن الكافرين في كل عصر اشترطوا للإيمان أن يحسوا بالله عن طرق السمع والرؤية، ويحدد القرآن أسباب هذا الاشتراط بأنها الجهل والكبر والانحراف والظلم (عند تفسيره لسورة البقرة: 118، والفرقان: 21-22، وغافر: 36-37، البقرة: 55، والنساء: 153)، وقد اتهموا المؤمنين بالله بأنهم متوهمون وكاذبون وعاطفيون، وأما أصحابهم اليوم يتهمون المؤمنين بأنهم غير علميين، وغير صادقين، ومشوشون ومخدعون (سعيد حوى 2004: 9، 15).

ولذلك قام الشيخ بتصحيح كل التصورات الخاطئة والعقيدة الباطلة، ورد على الملل والنحل المخالفة للإسلام، وعلى المذاهب المنحرفة المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة كالمعتزلة، والشيعة، والمرجئة، والباطنية، التي فهمت النصوص فهما خاطئا، وأولتها تأويلا فاسدا، وأخرجتها من معناها الصحيح لمجرد إثبات اتجاهها الفاسد (سعيد حوى 2003، ج1: 240؛ الوصابي 2006: 185-186). فعرض أفكارهم وأدلتهم في كل مناسبة ما، ثم أنكر عليهم استدلالهم مستعينا بأدلتهم نفسها وبالأحاديث الصحيحة. ومن أمثلة ذلك رده على المعتزلة في مسألة خلق الأفعال، ونفيهم رؤية الله عزوجل، وفي قضية الوعد والوعيد، كما تصدى للرد على الباطنيين، وغلاة الصوفية، والشيعة في مسألة التقية (سعيد حوى 2003، ج2: 745-748). وكذلك كان ينتقد على الأفكار والأيديولوجية المعاصرة كالملاحدة القائلين بالتناسخ، ويقيم أدلة مختلفة تدل على بطلانها (حوى 2003، ج6: 6445، 6594؛ ج11: 6445-6446، 6594)، ويرد على مزاعم العلمانيين حول فكرة فصل الدين عن الدولة (حوى 2003، ج1، ص47، 668-669؛ ج2، ص735)، وبعض الشبهات حول أصل الوحي (حوى 2003، ج5: 2424، 2426؛ 2434)، ومفاهيم خاطئة في العقيدة. إضافة إلى ذلك، قارن الشيخ بين العقيدة الإسلامية وبين غيرها في موضوع الألوهية، مما يُجلّى علو العقيدة الإسلامية، بما لا يقاس معها أو على غيرها من عقائد موجودة أو موروثة أو معروفة، جانب الإقناع في الدعوة إلى الإيمان (سعيد حوى الله2004: 9؛ 2003، ج4: 2274)، ومن هذه المقارنات قضية التثليث في الأناجيل (حوى 2003، ج2: 1223-1257)، والعقائد الوثنية في الديانة النصرانية والهندية (حوى 2003، ج4: 2274-2250).

4- بيان آثار العقيدة في الحياة

كان الشيخ سعيد حوى أيضا يعتني ببيان آثار العقيدة في الحياة حيث استطرد الحديث عن صفات الله تعالى، يبين آثارها في الكون والحياة، فمثلا في تفسير لآية الكرسي أشار إلى أن حكمة مجيئ الآية بين قوله تعالى في الأمر بالإنفاق وبين قوله بعده في عدم الإكره في الدين هي تدخل العناية الإلهية في شؤون الإنسان، قائلا:

> وإذا أدركنا مجيئها في سياق الدخول في الإسلام كله فالذين لا يعرفون الله، هم الذين يظنون أنه لا دخل لله في شؤون عباده، أو أن تشريعه ليس هو الأكمل. كيف وهو القيوم، المحيط علما (سعيد حوى 2003، ج1: 594-595).

وأكد الشيخ مستمرا على الآثار العملية لهذا الإيمان، وطالب المؤمنين بأن تظهر في أقوالهم وأفعالهم آثار العقيدة والإيمانية، كما ربط قضية الألوهية والعبودية، لأن آيات الله في الكون تقتضي معرفة له وعبادة، وأن الإنسان بعد أن يقتنع بوجود الله وأن محمدا رسوله لم يبق أمامه إلا التسليم لله في شريعته (سعيد حوى 2003، ج10: 5524). وقرر أن مفهوم الإسلام ليس بمجرد العقيدة، وإنما «يشمل العبادة وحقائقها والتكاليف، ومن تكاليف العقيدة تكاليف في تطهير القلب وتزكية النفس، وفي السلوك، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصيانة حياة الجماعة من الفساد والانحراف،

Bab 13outline.indd 116 7/24/2013 9:44:43 AM

وتكاليفها وفي الجهاد» (سعيد حوى 2003، ج1: 410-409؛ ج7: 3618-3619؛ ج10: 5531). عندما فسر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ أشار إلى أن لفظ "ربنا الله" يفيد أن الإسلام منهج كامل للحياة، يشمل كل نشاط فيها وكل اتجاه، وكل حركة وخالجة، ويقيم ميزانا للتفكير والشعور، وللناس والأشياء، وللأعمال والأحداث، وللروابط في كل هذا الوجود (سعيد حوى 2003، ج9: 5253-5252).

كذلك أشار الشيخ إلى أهمية العقيدة في بناء الأحكام والمبادئ قائلا: "ونلاحظ أن السور الثلاث – الزمر وغافر وفصلت- لم تحدثنا كثيرا عن الأحكام العملية، بل كانت أكثر آياتها منصبة على البناء العقلي والقلبي للمسلم، لأن ذلك هو الأساس الذي يقوم عليه الأحكام" (سعيد حوى 2003، ج9: 5052). وقرر أن التشريعات الإسلامية كلها تنبثق عن الإيمان، وقبولها علامة الإيمان بالله والرسول والالتزام بها يعمق الإيمان بالله والرسول (سعيد حوى 2003، ج10: 5783-5784)، ويقول أيضا: "وإذا كان الله ولي الذين آمنوا...أفلا ينبغي أن يبذل هؤلاء المؤمنون أموالهم في سبيل الله جل جلاله، وإذا كان ربنا كذلك...أفلا ينبغي أن ندخل في الإسلام كله، ونقيم شرائعه كلها" (سعيد حوى 2003، ج1: 604).

5- ربط التشريعات بالعقيدة

انطلاقا من دور العقيدة في التصور والحياة، كان الشيخ سعيد حوى يبين الحكمة من ربط التشريعات والتوجيهات والمبادئ والأحكام بها في النصوص القرآنية، وهذا الربط يضمن الالتزام بها، كما يضمن الحياة والتأثير، ففي تفسيره:

يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ -سورة الأعراف: ٢٦، ينقل عن (الظلال)

لبيان أسباب ارتباط الشريعة بالعقيدة في قضية اللباس والأزياء:

> إنها تتعلق بالربوبية، وتحديد الجهة التي تشرع للناس في هذه الأمور، ذات التأثير العميق في الأخلاق والاقتصاد وشتى جوانب الحياة. كذلك تتعلق بإبراز خصائص "الإنسان" في الجنس البشري، وتغليب الطابع "الإنساني" في هذا الجنس على الطابع الحيواني...ولأن هذه القضية التي تبدو فرعية، لها هذه الأهمية في ميزان الله وفي حساب الإسلام، لارتباطها أولا بقضية التوحيد والشرك، ولارتباطها بصلاح فطرة الإنسان وخلقه ومجتمعه وحياته أو بفساده هذا كله.... (سعيد حوى 2003، ج4: 1890؛ سيد قطب 2004، ج3، ص1284-1285).

وكذلك عندما كان يفسر آيات القصص والربا، والإنفاق، وإعطاء الحق لليتيم والمرأة وغيرها، أكد أن هذه كلها تنشئها العقيدة، وتحقق تقوى الأفراد والأمة، وهي أيضا من أول مظاهر التقوى (سعيد حوى 2003، ج1: 398، 592، 655؛ ج2: 989). وربط أيضا بين العقيدة والحياة الواقعية من شؤون مالية واقتصادية، وسياسية، وحرب وقتال وغيرها من شؤون الحياة، وأن «كل ذلك جاء في سياق الأمر بالدخول في الإسلام كله، وهذا السياق يشعرنا أنه لا انفصال بين أركان الإسلام وبيقة الإسلام، وأنه لا انفصال بين التقوى وبين ما أن ينبثق عنها من التزام بالإسلام كله، وفي ذلك تصحيح لمفاهيم أكثر الخلق» (سعيد حوى 2003، ج1: 668)، لأن العقيدة الإسلامية ليست منعزلة عن واقع الحياة (سعيد حوى 2003، ج 4: 1957-1961)، بل العقيدة من التوحيد الخالص والاستغفار للنفس والمؤمنين من شروط النصر وتأييد الله المؤمنين (سعيد حوى 2003، ج6: 4252؛ ج9: 5313، 5371).

الخلاصة

يختم الباحثون هذا المبحث بقولهم أن الشيخ سعيد حوى اهتم بالعقيدة اهتماما كبيرا لا سيما قضية الألوهية والروبوبية، ومفهوم الإسلام وحقيقته، فقد ركز على آيات العقيدة باعتبارها الموضوع الأساسي للقرآن، وأخذ هذه القضايا العقدية من القرآن مباشرة لأن الطريقة القرآنية في عرضها مناسبة للفطرة البشرية، كما أوصى الدعاة إلى الله تعالى الاستفادة من طريقة القرآن وأسلوبه في الدعوة والتربية، وهو في ذلك حاول توفيق الآيات المتشابهة في الموضوع الواحد حتى يخرج منه بنتيجة قاطعة، كما اهتم أيضا بآثار العقيدة ودورها في الحياة، وبيان الحكمة من الربط بين الإيمان بالله والرسول وبين التشريعات. هذه القواعد تمثل منهج مدرسة التفسير الحركي، وبخاصة مدرسة الإخوان المسلمين التي تهتم بتوحيد الفهم بين أبنائها بوضع مجموعة قواعد ومناهج، فرجالها كالإمام حسن البنا، وسيد قطب وسعيد حوى وغيرهم قد ساروا على هذا المنوال وركزوا على نفس القضايا في تفسيرهم لآيات العقيدة في القرآن الكريم.

وأكد الإمام حسن البنا على ضرورة القرآن كمصدر أساسي لاستقاء العقيدة الإسلامية السليمة ودراستها، وهو المنبع الذي لا لبس فيها، وتلك طريقة جيل العصر الأول والسلف الصالح رضوان الله عليهم، الذين تلقوا العقيدة الإسلامية ألفاظا مبسطة تنبض بالحياة، وتفيض بالشعور، وترف بالجمال والوجدان، وتوجه إلى العمل الصالح المنتج، فلا يعلم للإيمان معنى إلا ما صور به القرآن الكريم. ومن ثَم كان البنا في بحوثه العقدية يعتمد على أمرين أساسيين –كما نصه في مقدمة جريدة الإخوان المسلمين-، أولهما: الاعتماد على طريقة القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم في توصيل العقائد الدينية إلى النفوس، واستيلائها على المشاعر والنفوس بدون تعمق في الألفاظ، أو تشعب في البحوث أو إيراد للآراء والمذاهب، أو الخوض في مصطلحات الفلاسفة والمناطقة والكلاميين والجدليين، وثانيهما: العناية ببيان آثار هذه العقائد في النفوس، واستيلائها عليها. وهو يتبع ذلك برد الشبهات الحديثة والاستدلال على العقائد الإسلامية بالنظريات العصرية على سبيل الاستئناس والاستنباط (جمعة أمين 2005: 29-28). وقام عماد محمود عبد الكريم (2004: 126-122) بدراسة منهج البنا في العقيدة، وتوصلت هذه الدراسة في أمور: الاعتقاد بوجود الله الواجب لذاته غير المستمد من سواه، ونفي صفات المشابهة والنقص عن الله تعالى، وعدم التعرض للحقيقة والماهية في الذات أو الصفات، ورسم الطريق إلى معرفة الخالق وإدراك كمالات الألوهية ومميزاتها وآثارها والوصول إلى ذلك عن طريق النظر في الكون نظرا صحيحا، ومطالبة المؤمنين بأن تظهر في أقوالهم وأفعالهم آثار هذه العناصر العقدية.

وكذلك منهج سيد قطب في معالجته العقيدة في الظلال، أفادنا الخالدي (2000: 140-131) علما بأن سيد قد سلك نفس المسلك، وتتلخص مناهجه العقدي في نقاط تالية: طريقة القرآن الفريدة لأنه يخاطب الفطرة، والاستفادة من هذه الطريقة وإدراك هذا البعد الشامل المؤثر الواقعي الحركي للعقيدة، والتصور الاعتقادي والتجمع الحركي، والكون بكل ما فيه تحت سلطان الله، والفاعلية الإيجابية لصفات الله، والحكمة من ربط التشريعات والتوجيهات والأحكام بالعقيدة. ومن هنا يتضح أن المنهج الحركي في تفسير آيات العقيدة يعتني بقضية توحيد الله تعالى وطريقة معرفته، كما يؤكد على أن العقيدة موضوعها وأسلوب معالجتها ودراستها لا بد أن تستقى من القرآن الكريم، ويفرض العامل العقيدي للالتزام بالتوجيهات والتشريعات الإسلامية.

ويجد الباحثون كان الشيخ سعيد حوى أكثر موافقة لسيد قطب في هذا المنهج العقدي، وذلك لاعتماده على الظلال وينقل عنه كثيرا، وهذا يشير إلى مدى تأثره بسيد قطب وأفكاره. وبالرغم من ذلك لا يعني أن هذا المنهج الحركي ووجوده في (الأساس) بمجرد اعتماده على الظلال، وإنما تعود إلى عناصر، فيرى الباحثون أن هذا الموضوع يفتقر إلى دراسة مستقلة لتأخذ حقها من التحليل والدراسة. على أنهم وجدوا أن منهج الشيخ قد امتازوا عن الظلال في نواحي، منها تناوله هذه القضية برده على العقائد الباطلة، والأيديولوجية المعاصرة، وعقده المقارنات بين الإسلام والديانات الأخرى، كما يتميز أيضا بتعرضه لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن لفروض العصر واحتياجه، مع محاولته للتجاوز عن الخلاف المذهبي والكلامي والتخلي من التعقيدات الفلسفية فيها.

المراجع

جمعة، أمين عبد العزيز. 2005. *سلسلة من تراث الإمام البنا* (التفسير). الإسكندرية: دار الدعوة.

حوى، سعيد. 1407هـ/1987م. *هذه تجربتي وهذه شهادتي*. القاهرة: مكتبة وهبة.

_____. 1408هـ/1988م. *جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما*. عمان: دار عمار.

_____. 1424هـ/2003م. *الأساس في التفسير*. ط6. القاهرة: دار السلام.

_____. 1424هـ/2004م. الله جل جلاله. ط6. القاهرة: دار السلام.

_____. 1429هـ/2008م. *جند الله ثقافة وأخلاقا*. ط6. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر.

حوى، معاذ بن سعيد. حياة الشيخ سعيد حوى وفكره الحركي. 2010. مقابلة، 16 مايو .

حوى، محمد بن سعيد. حياة الشيخ سعيد حوى وفكره الحركي. 2010. مقابلة، 17 مايو.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. 1421هـ/2000م. *المنهج الحركي في ظلال القرآن*. ط2. عمان: دار عمان.

عماد، محمود عبد الكريم. 2004. *الإمام جسن البنا ومنهجه في تفسير القرآن الكريم*. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

قطب، سيد. 2004. *في ظلال القرآن*. ط 34. القاهرة: دار الشروق.

الوصابي، عمر صالح محمد أحمد. 2006. منهج سعيد حوى في تفسيره (الأساس). رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم الدراسات الإسلامية، بجامعة صنعاء اليمن.

يوسف، محمد خير رمضان. 2002. *تتمة الأعلام للزركلي*. ط2. بيروت: دار ابن جزم.

Norazamudin Umar. 2004. Said Hawwa (1935-1989): Pemikiran Dakwah dan Kedudukannya dalam Gerakan Ikhwan al-Muslimin. Disertasi Sarjana. Jabatan Sejarah dan Tamadun Islam, Akademi Pengajian Islam, Universiti Malaya.

*Haziyah Hussin
Mazlan Ibrahim
Sohirin M. Solihin
Jabatan Pengajian al-Quran dan al-Sunnah
Fakulti Pengajian Islam
Universiti Kebangsaan Malaysia
43600 UKM Bangi
Selangor D.E.
MALAYSIA

*haziyah@ukm.my

Bab 13outline.indd 118 7/24/2013 9:44:45 AM